آفه الخداع

بقلم حضرة الكاتب الاديب فليكس افندي فارس

ما بين الوهاد والجبال حيث ابقت الادهار للطبيعة رونقاً لم تدنسه يد الانسان . كانت العساكر الافرنسية والانكليزية تترصد الفرصة للهجوم وكل منهما يعد الفوز لنفسه معتداً بوفرة العدّ وضخامة العدد . وكان قائد الحملة الافرنسية رجلاً ارخت عزائمه الايام وشددت عزيمته مواقع طالما شهد بها معارك تشيب الاطفال فعاد والدماء تقطر من فرند حسامه قطرات صاغ من مرجانها لنحره عقداً يشهد بشجاعته واقدامه

وما لبث حتى حمي وطيس الحرب فتوالت الهجمات من الفريقين وانفجرت ينابيع الدماء تسقي تلك الاراضي الجرداء لتنبت اشجار الويل مثمرة للعقائل ترملاً والامهات ثكلاً وللابناء يتما . فاحاط الانكليز باعدائهم احاطة السوار بالمعصم وكادت ان تدور على هؤلاء الدوائر لو لم يتدارك ذلك القائد العظيم خطارة الموقف بتدريبه واقدامه . وكان هذا ممتطياً جواده يتفكر بكيفية خرق صفوف الاعداء والخروج من بينهم فشاهد احد اتباعه متقدماً نحوه فتأمله ملياً فاذا هو هنري ابن احد رفقائه الذي قتل بقربه في موقعة شهدها واياه ايام الصبا وكان القائد قد تبنى هذا الشاب طفلاً بعد مصرع ابيه فصار لديه مكرماً معززاً لا يألو جهده في سبيل تقدمه الى ان بلغ اشده فصار يصحبه الى المعارك مساعداً قوياً ورئيساً باسلاً آن الويلات الصعاب وقد عاد هذا الفتى مرات عديدة من الحروب مثخناً بالجراح فضمدتها يد

قرينة القائد الشيخ وهي فتاة في ريعان الصبا تزوجت بالقائد رغماً عن تقدمه بالسن وهزء الناس به لهذا السبب . واحدق القائد بالفتى معجباً ببأسه وجماله وقال له — لا مناص لنا من هذه الورطة بسوى شق دائرة الاعداء المحيطين بنا فيلزم ان تفعل ذلك مع فرقة من الجند الشجعان لانه من الواجب تقدمة ذاتك ضحية لاجل الملك والوطن

فانتضى الفتى سيفه ونادى — ليحي الملك . فردد نداءه فرقة من الجند لمعت سيوفهم في الفضاء وتقدموا لقرب قائدهم الجديد وكل ينتظر بفروغ صبر اشارة الهجوم الى معركة يبيد بها حياته لمجد وطنه . وارتمى هنري بين ذراعي الشيخ ابيه يقبل يديه قبل ان يبارحه الى موت مؤكد فسالت مدامعهما بسكون كأن يد الاقدار تسكبها ختماً على فراق لا لقاء له سوى ما وراء الرموس

واذ ذاك شق الصفوف فارس آت من باريس اضناه التعب وعفره عثير الحرب فترجل لدى القائد وقدم له رزمة رسائل مختومة بالشمع الاحمر مخطوط عليها اسم الفتى هنري باحرف منمقة وعلى الجهة الثانية من الرزمة مرسوم ذات الاسم باحرف حمراء وكبيرة تدل على الهزء والسخرية . فقض القائد ختامها وما وقعت ابصاره على مضمونها حتى جمد الدم في عروقه ولاحت على وجهه امارات حزن مذيب فارسل على ابنه نظرات جامدة لم يفهم هذا مغزاها . . .

وكانت هذه الرسائل مبعوثة من عقيلة القائد الفتية الى هنري تحاريز املاها الغرام وخطتها يد الشوق فجاءت هياماً مجسماً يحمل من المحب الى الحبيب اقسام عهود ودلائل تعلق امحى يضحي اعظم الواجبات في سبيل شرع الهوى

وتعاظمت على الشيخ الاشجان وتفطر فؤاده فارسل لحاظه الى قاب المعمعة مفتشاً على هاوية يدفن فيها بقية حب ابوي كان جزاؤه الغدر واثار غرام اتى بعد اوانه فسبب للفؤاد الذي حل به بدل السعادة مصائب واشجاناً

فمزق الرسائل ببطء وقال بنفسه اسفي على اتعاب حملني اياها هذا الوالد العقوق وويل لتلك السافلة المبادي التي قدمت لي بدل حبي واخلاصي خداعا اعظم عداوة اخف منه هولاً . والتفت الى هنري قائلا

— ابقَ هنا مكاني لانني اريد ان اترأس الحملة بنفسي

— لمْ يا ابي تريد ان تحرمني هذا الموت الشريف

فادار القائد رأسه ليخفي دلائل حنق ظاهر ويطفي شرارة لعنة خرجت من لحاظه رغماً عنه وعاد فقال لهنري بهدو متكلف

— هكذا يأمر الملك برسائله و...

واراد ان يتم كلامه فاختنق صوته في صدره واندفع كالبرق الخاطف على الاعداء مناديا جنده . هيا الى الامام

وعلا دخان البارود يحجب اولئك الشجعان عن الابصار ودوت الجبال من رعد البنادق فاخفى صوت ويلات الحرب كلمة لعنة اخيرة خرجت من فم القائد الشيخ الذي سقط على الارض قتيلا فصعدت الى العلاء مع نداء القتلى وانين الجرحى المطالبين بحقوق الانسانية التائهة في بوادي الجهل والضلال ...

الجليس الانيس

﴿ الجزء العاشر والحادي عشر — السنة الخامسة ﴾

﴿ الاسكندرية في ٣٠ نوفمبر (ت ٢) سنة ١٩٠٢ ﴾

﴿ الموافق ٢٨ شعبان سنة ١٣٢٠ ﴾

الشرف

للناس على هذا الشرف اعتماد عظيم وله بينهم اهتمام يفوق منهم كل اهتمام حتى لقد يرتضون به ارتضاء نفوسهم بالحياة واجسادهم بالغذاء ولقد جلت منزلته بينهم حتى اوشكوا ان يتميزوا به بعضهم عن بعض كما يتميز مجموعهم عن عن الحيوانات ولكنهم في اعتقادهم بهذا الشرف على اختلاف كبير وتباين كثير وذلك اتباعاً لاختلاف عقولهم وتباين افهامهم وتربياتهم

فمن الناس من يدعي ان الشرف يكون بالعلم وحده وان من كان اعلم من سواه فهو اشرف منه نسباً واصح انتساباً الى المجد وهذه الدعوى على ما فيها من الصدق في الظاهر لا تعد مقبولة لدى الحقيقة لان شرف العلم لا يتم الا حيث يتم نفعه ولذلك لا يعد كل عالم شريفاً الا اذا كان نفعه تاماً بل كثيراً ما يكون الجاهل ادنى الى الشرف من العالم اذا لم تكن نفس العالم شريفة